المعلقات (التسمية، والتعليق)

د. نادر عبد الرحمن الوقفي

الملخص

المعلقات الشعرية: (التسمية والتعليق)

يدور هذا البحث حول "معلقات العرب الشعرية" وهي القصائد التي تعود إلى زمن تألق العرب فصاحة وبلاغة،ويتناول البحث قضيتين أساسيتين الأولى: تسمية هذه القصائد وأشهر هذه المسميات وتباين النقاد القدماء في أسمائها وبعض أسباب هذا التباين والثانية: قضية التعليق على أستار الكعبة بين الإثبات والنفي؛ حيث انقسم النقاد إلى فريقين فريق يؤيد أن هذه القصائد علقت على أستار الكعبة وساق ما يراه من حجج وبراهين،وفريق يرى أن قضية التعليق لا أصل لها،وكذلك قدم هذا الفريق بعض الأدلة على صحة رأيه بنفي التعليق.

لقد قمت بتقسيم بحثي إلى ثلاثة فصول،الفصل الأول تناولت فيه تسمية المعلقات وألقابها المختلفة ، ثم الفصل الثاني تناولت قضية التعليق من حيث الإثبات والنفي ، أما الفصل الثالث فخصصته لشعراء المعلقات وأغراضها مع بعض النماذج الشعرية الدالة . هذا وقد اعتمدت في البحث منهجا وصفيا استقصائيا يقوم على طرح الآراء المختلفة ومقارنتها،ومحاولة تفنيدها،وأنهيت بحثي بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليهاالباحث، واستند على مجموعة من المصادر والمراجع في مقدمتها المصنفات القديمة ، ثم بعض الدراسات الحديثة التي تناولت شعر المعلقات.

لقد توصل البحث إلى أن جميع القضايا التي درست حول المعلقات الشعرية بقيت مدار اختلاف بين النقاد قديما وحديثا وخاصة "قضية التعليق على أستار الكعبة"إذ لم يستطع أي من النقاد والباحثين إثباتها بشكل قاطع،كما أن كثيرا من الأراء تشابهت بين النقاد جميعهم وفي كل العصور؛ حيث اكتفى كثيرون بإيراد أراء الاخرين دون إبداء أي رأي.

مقدمة:

معلقات العرب الشعرية، قصائد ذات شهرة كبيرة، ذائعة الصيت، وتناولتها الكثير من الدراسات والشروح، وعدّها كثيرٌ من النقاد أجود الشعر العربي على مر العصور، وهي تعود إلى زمن تألق العرب فصاحة، وتميزهم على سائر أزمنة العرب بلاغة حتى ظلّ الشعر إلى زمنٍ طويل يقارن بتلك الحقبة الزمانية من تاريخ الشعر العربي.

لقد أثارت هذه القصائد الكثير من الآراء سواء من حيث تسميتها، أوعددها، أوحتى حقيقة وجودها، وهذا البحث الصغير يتناول المعلقات الشعرية مركزاً على جوانب التسمية والتعليق. وقد جعلت بحثي في ثلاثة فصول صغيرة، الفصل الأول، تناولت فيه تسمية المعلقات وألقابها، وبينت فيه الأسماء المختلفة للمعلقات، كما جاء في الكتب القديمة، وفي مقدمة هذه الأسماء المعلقات، ثمّ في الفصل الثاني تناولت قضية التعليق على أستار الكعبة من حيث الإثبات والنفي، وحجج كل من يرى أنها علّقت أوأنها لم تُعلق وتفنيد ذلك لدى كلّ فريق، أما الفصل الثالث فخصصته لشعراء المعلقات وأغراضها، فمن المعروف أن النقاد اختلفوا في عدد شعراء المعلقات، هذا وقد اعتمدت في بحثي منهاً وصفياً استقصائياً، يقوم على طرح الآراء المختلفة ومقارنتها، ومحاولة تفنيدها، ثم أنهيت بحثي بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقد اعتمدت في بحثي على مجموعة من المراجع في مقدمتها الكتب والمصنفات القديمة التي درست المعلقات وبعض الدراسات الحديثة، وقد أوردت هذه المراجع في الصفحات الأخيرة "بثبت المراجع" التي تمّ الاتكاء عليها في إعداد البحث.

كلي أمل أن أكون قد وفقت في استجلاء القليل، مما يمكن توضيحه والإفادة منه حول حقيقة المعلقات والآراء المختلفة حولها.

الفصل الأول
تسمية وألقاب المعلقات

أولاً: تسمية المعلقات:

يرى أغلب الباحثين أنّ تسمية المعلقات بهذا الاسم تعود في الغالب إلى تعليقها على الكعبة. قال ابن عبد ربه:"كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها، والمقيّد لأيامها، والشاهد على حكامها، حتى بلغ من كلف العرب به، وتفضيلها أن عمدت إلى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم، وكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقها في أستار الكعبة، فمنه يُقال مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير، والمذهبات سبع، وقد يُقال لها المعلقات"١. وذكر هذا ابن رشيق القيرواني مقتفياً أثر ابن عبد ربه:"وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب، وعلقت على الكعبة"٢.ويضيف، وقد ذكر ذلك غير واحد من العلماء، وابن خلدون في مقدمته الشهيرة، يأتي بمثل هذا الرأي حين يقول "اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب في علومهم وأخبارهم وأحكامهم، وكان رؤساء العرب متنافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، وعُرِض لكل واحد منهم ديباجته على فحول الشعر، وأهل البصر لتمييز حوله، حتى انتهوا إلى المناداة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجتهم وبيت إبراهيم، وأنه كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها، من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته، ومكانه في عصره، على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات"٣.

أما البغدادي فقد جعل مكة محكمة الشعر التي يلجأ إليها الشعراء، فيظل الشعر غريباً غير معترف به إلى أن ينشد في مواسم الحج، يقول في الخزانة:" ومعنى المعلقة أن العرب كانت في الجاهلية، يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض، فلا يعبأ به، ولا ينشده أحد، حتى يأتي مكة في موسم الحج، فيعرضه على أندية قريش، فإن استحسنوه رُوي وكان فخراً لقائله، وعُلق على ركن من أركان الكعبة حتى يُنظر إليه، وإن لم يستحسنوه طُرح ولم يُعبأ به"٤. وذكر هذا ابوجعفر النحاس:"قيل إن العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال: علّقوها وأثبتوها في خزانتي"٥. فالنحاس يتفق أن المعلقات سُميت بذلك، بسبب خبر تعليقها، لكن التعليق كان في خزائن الملك دون أن يذكر أي ملك، أوما اسمه.

يتضح مما سبق أن هذه القصائد سميت (المعلقات) بسبب تعليقها على الكعبة، وبعد كتابتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وهي ثياب الدقة والرقة والبياض، وهذا أكثر الأسباب تداولاً بين العلماء ونقاد الأدب العربي قديماً وحديثاً. وهذه التسمية وصف لتلك القصائد بأظهر صفاتها وهي الطول، ويتضمن الطول هنا صفات الجودة والشهرة أيضاً فأقل المعلقات من حيث عدد الأبيات معلقة زهير وعدد أبياتها اثنان وستون بيتاً، وأطولها أبياتا معلقة طرفة، ومعلقة عمروبن كلثوم وعدد أبياتهما مائة وثلاثة أبيات، وهذا الطول بالتأكيد يدل على طول نفس شعرائها.

ثانياً: ألقاب المعلقات:

لم تكن كلمة (المعلقات) وحدها هي التي أطلقت على المعلقات السبع، أوالمعلقات العشر في رأي من رآها عشراً، فهذه القصائد المشهورة أطلقت عليها ألقاب وأسماء متعددة، كلها تصب في باب وصفها والثناء عليها، ويرى بدوي طبانة:"أن للمعلقات ألقاباً أخرى تدل عليها، وتشارك في عُرف الأدب في مدلولها الأدبي، وإن كانت أقل منها ذيوعاً وجرياناً على الألسنة"٦.

ذكر ابن خلكان في ترجمته لحماد الرواية تسميتها بالسبع الطوال، يقول:"كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها وهوالذي جمع السبع الطوال"٧،وعنه نقل أبوجعفر النحاس وياقوت الحموي، يقول:"إن حماداً هوالذي جمع السبع الطوال"٨، وفي جمهرة أشعار العرب يروي أبوزيد القرشي عن المُفضل "أن امرأ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيداً وعمراً وطرفة بن العبد أصحاب السبع الطوال"٩،ويُقال إن هذه التسمية (السبع الطوال) من فِعل حماد الرواية، وأنه "نقلها من الحديث الشريف" أعطيت مكان التوراة السبع الطول"١٠، ولا أعرف ما علاقة السبع الطوال من الشعر بالسبع الطِوال من القرآن الكريم، وهل كانت القصائد السبع بحاجة إلى مقارنتها بالآيات من حيث الطول؟ مع أنها أسبق، وهي تتوفر على صفة الطول.

وقد أورد ابن رشيق تسميتها بالمذهبات وقد تسمى تلك القصائد بالمذهبات إشارة إلى كتابتها بماء الذهب، يقول:"وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر، فكتبت في القباطي بماء الذهب، وعلقت على الكعبة، ولذلك يُقال: مذهبة فلان

إذا كانت أجود شعره"١١، وينص ابن رشيق على أن غير واحدٍ من العلماء ذكر ذلك١٢.ويوافق ابن رشيق في تسميته لهذه القصائد بالمذهبات ابن قتيبة ويدل على ذلك وصفه لمعلقة عنترة "وهي أجود شعره، وكانوا يسمونها (المذهبة)"١٣.

وسار على نفس المنوال البغدادي صاحب الخزانة فقال عن معلقة – عنترة – أيضا : "وهي من أجود شعره ويسمونها المذهبة بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أوالتذهيب- وهما بمعنى التمويه والتطلية بالذهب"١٤.

ومن تسمياتها "السموط" يقول المفضل الضبي "هؤلاء أصحاب السبع الطول التي تسميها العرب (السموط)، ومن قال إن السبع لغيرهم، فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة "١٥. ويرى بدوي طبانة أن "أصل التسمية بالسمط أوالسموط من حماد الرواية"١٦، ومن أسمائها "المشهورات" أوالقصائد المشهورة أورد ذلك حماد الرواية وأبوجعفر النحاس١٧. وقد انفرد الباقلاني بتسميتها "السبعيات"١٨، وانفرد الأنباري بتسميتها (السبع الجاهليات)، وذلك في شرحه لها المعروف بـ (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)١٩،وأظنه قد ذكر كلمة "الجاهليات" من باب النسبة للعصر الجاهلي، وليس إمعاناً في التسمية "بالسبع الجاهليات" وإنما التسمية التي أرادها هي (السبع الطوال).

الفصل الثاني
خبر تعليق المعلقات

أولاً: التعليق على أستار الكعبة:

ذكر أغلب المؤرخين القدماء أن المعلقات سُميت بهذا الاسم، لأنها علقت على أستار الكعبة، نظراً لمكانتها وجودتها، فقد ذكر ابن عبد ربه:"أن العرب اختارتها فكتبتها بماء الذهب على القباطي، ثم علقتها بالكعبة إعجاباً بها وإشادة بذكرها"٢٠، وهذه الرواية تتطابق مع رواية أغلب المؤرخين في الإشارة إلى أنها علقت على أستار الكعبة.

"ويرى أحمد حسن الزيات في قضية التعليق أن تعليق الصحائف الخطيرة على أستار الكعبة يمكن أن يكون دليلاً على تعليق شعر المعلقات قياساً على تأثير الشعر فيهم، ومكانة الشعراء عندهم، والدليل الآخر أن لهذا الأمر نظائر في أدب الإغريق، فإن القصيدة التي قالها بندار زعيم الشعر الغنائي يمدح بها ديا جوراس، قد كتبوها بالذهب على جدران معبد أثينا في لمنوس"٢١.

وفي اعتقادي أن الغريب في الأمر أنه لم ترد أخبار تقول فلاناً من الشعراء أوالناس وقف يقرأ إحدى المعلقات على أستار الكعبة، وإذا كانت القبائل تحتفل بولادة شاعر أونبوغه، فتقيم الولائم والأفراح، فلماذا لم يرد ما يقول إن القبيلة الفلانية قد احتفلت بتعليق قصيدة شاعرها على هذا المكان المقدس؟

ولم تورد الأخبار كيف كان يتم اختيار هذه القصائد؟ وما هي المقاييس التي اعتمدت لاختيار قصيدة دون غيرها؟ ولماذا حُصرت القصائد في سبع قبائل أوعشر عند مَن عدها معلقات عشر، أيضاً لم يرد أن أياً من القبائل العربية، قد اعترضت على اختيار قصائد من قبائل أخرى، في حين لم تُقدم أي قصائد لشعرائها، وهل انحصر جيد الشعر في سبع قصائد أوعشر وبالتالي في سبع قبائل فقط؟ "ويقال إن أول من عُلّق شعره في الكعبة امرؤ القيس وبعده علقت الشعراء"٢٢، وهذه الجملة توحي بشيء من الإطلاق في مسألة التعليق، وهذا يتنافى مع تخصيص القدماء للمعلقات في سبع قصائد، وعشر قصائد عند البعض منهم.

ثانياً: نفي التعليق على أستار الكعبة:

"هناك فريق آخر من الباحثين يرى أن نفي خبر التعليق أهون ما قالوا في شعر المعلقات"٢٣، بل إنهم تجاوزوا ذلك إلى إنكار الشعر الجاهلي، والشك في وجوده ومن هؤلاء طه حسين وكتابه الذي سماه "في الأدب الجاهلي" حيث يقوم الكتاب على إنكار هذا الشعر، حيث حاول به نقض الشعر الجاهلي جملة وتفصيلاً. فوصف كل تاريخ العرب قبل الإسلام بالوضع (الانتحال) ويذكر أن أكثر الشعر الجاهلي مختلف اختلاف حمله الرواة الذين دونوا الشعر في القرن الثاني الهجري٢٤.

ويجعل طه حسين دليل التّصنع والتكلف في هذا الشعر من الأدلة على عدم صحته، وأن هناك يداً أعملت فيه فغيرت وضعه. أما نفي التعليق فأقدم من قال ذلك أبوجعفر النحاس، ودليله إثبات الاختلاف في جمع القصائد السبع"، ويرى بدوي طبانة أن العرب واجتماعهم بسوق عكاظ يتناشدون الشعر أمر ثابت لا جدال ولا شك فيه، ولم ينكر ذلك أي أحد من المؤرخين٢٥. والاحتكام إلى النابغة معروف، وقصة النابغة مع الخنساء والأعشى معروفة أيضاً٢٦.

أما القول بأن الملك كان إذا استحسن قصيدة أمر بها، فعلقت على أستار الكعبة، فهذا رأي غريب لا يوضح، أي ملك مقصود؟ فلم تذكر المصادر إلا النعمان بن المنذر وهومن اهل الحيرة٢٧.

فهل كان يرتحل من الحيرة إلى مكة ليقرأ هذه القصائد، ويطرب لسماعها. والأرجح الرواية القائلة: إنه – أي هذا الملك – كان يطلب وضعها في خزائنه. وفي رأيي أن خبر التعليق خبر لا شك فيه خاصة وأن الكثير من النقاد – الذين يوثق بروايتهم – ذكروا ذلك مثل ابن رشيق أوابن عبد ربه، وابن الكلبي وأبوجعفر النحاس، وهؤلاء عرفوا بدقة نقلهم، وتوثيقهم العلمي، كما أنني – أعتقد – أن مشاهدة العرب للمعلقات على أستار الكعبة، نقلت من جيل إلى جيل ومن الخلف إلى السلف، فثبت صحة تعليقها، وتعلق العرب بها، أما رأي طه حسين – وأمثاله فلربما أنهم قالوا ذلك، طلباً للشهرة ومخالفة الآخرين، وتأثراً بمنهج الشك الذي درسه طه حسين وأُعجب به.

أما قول بعض المستشرقين، بأن العرب أمة لا تعرف القراءة والكتابة٢٨، وجعلوا ذلك سبباً في تسمية العصر الجاهلي، مع أنه لا يخفى على أحد أن التسمية سببها الجهل بالدين الإسلامي، وقد ثبت أن الكتابة كانت معروفة قبل الإسلام، خاصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم، افتدى أسرى بدر من قريش بتعليم عشرة من المسلمين، مما يدل أن الكتابة كانت موجودة، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان له كتّاب يكتبون بين يديه وهم في الأصل من أهل الجاهلية.

الفصل الثالث
شعراء المعلقات وأغراضها

أولاً: شعراء المعلقات وعددها:

تعددت الآراء في أصحاب المعلقات وعددها، ولم أجد في ما قاله القدماء أي نوع من الإجماع، فالعدد مختلف من باحث إلى آخر، كما أن أصحاب المعلقات اختلفت أسماؤهم من باحث إلى آخر أيضاً.

يرى ابن عبد ربه في العقد الفريد "أصحاب المعلقات سبعة من الفحول المتقدمين"٢٩،ويوافقه الزوزني شارح المعلقات هذا الرأي، أما أبوزيد القرشي صاحب (جمهرة أشعار العرب)، فيجعلهم ثمانية فحول، فيسقط الحارث بن حلزة، ويُضيف النابغة الذبياني، ويجعل معلقته قصيدته التي مطلعها٣٠:

عوجوا فحيّوا لنُعم دمنة الدارِ
ماذا تحيون من نُؤى وأحجار

كما يُضيف معلقة الأعشى، ويجعل معلقته قصيدته التي أولها٣١:

ما بكاءُ الكبير بالأطلالِ
وسؤالي وما تردُّ سؤالي

أما سائر المعلقات وهي الست الباقية، فإنه يشارك فيها غيره من الشرّاح والرواة في أصحابها ومطالعها، أما أبوزكريا التبريزي فيجعلها عشر "ولكنه يسند الزيادة على المعلقات السبع إلى أبي جعفر بن إسماعيل النحوي"٣٢، يضيف عبيد بن الأبرص ومعلقته، قصيدته التي أولها:

أقفر من أهله ملحوبُ
فالقطبيات فالذنوب

وقصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقصيدة الأعشى التي مطلعها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

"وهويجعل الحارث بن حلزة آخر القصائد السبع وما بعدها المزيد عليها"٣٣.أما ابن خلدون فيختار من أقوال سابقيه عند الحديث عن شعر المعلقات وعددها، ويسقط شاعرين اتفقت الرواة على عدهما من أصحاب المعلقات وهما عمروبن كلثوم التغلبي، ولبيد بن ربيعة٣٤، والغريب في الأمر أن ابن خلدون ذكر شاعر اسمه علقمة بن عبدة ويقول إنه من شعراء المعلقات، ولم يذكر علقمة هذا أحد غير ابن خلدون٣٥. "ويبدوأن الإجماع لدى النقاد على أن أصحاب المعلقات ستة شعراء هم امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن ربيعة، عمروبن كلثوم، عنترة بن شداد"٣٦. " وعند أكثر الرواة فإن سابع هؤلاء الشعراء هوالحارث بن حلزة، ولم يُغفل الحارث إلا صاحب الجمهرة؛ حيث أضاف بدلاً منه النابغة الذبياني"٣٧، ويرى بدوي طبانة "أن الاضطراب الذي يبدوفي اختلافهم في المعلقات وعددها وفي أصحابها أوإحصائهم، فإنما منشؤه في الواقع الاعتماد على الروايات الشفوية، وعليها يعتمد أولاً وأخيراً على ملكة الحفظ"٣٨.

ثانياً: أغراض المعلقات:

ينقل ابن رشيق القيرواني عن بعض العلماء قولهم ٣٩: بني الشعر على أربعة أركان، وهي: المدح، الهجاء، النسيب والرثاء.

أولاً: الوصف٤٠:

وهذا من أغراض الشعر العربي

بشكل عام وهومن الأغراض التي عالجتها المعلقات، حيث تشتمل المعلقات جميعها على كثير من الأوصاف لموصوفات متعددة من الطبيعة، الصحراء، الزرع، النبات، والجبال والهضاب، والحيوانات.

يقول امرؤ القيس في وصف فرسه:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكرّ مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل
كُميت يزل اللبدُ عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذيل جياش كأن اهتزامه
إذا جاش فيه حميهُ على مرجل

ولعل وصف الديار ورسومها من الأشياء التي عُني بها شعراء المعلقات، بل إن الوقوف على الأطلال تقليدٌ في مطالع القصائد الجاهلية ومنها المعلقات ،يقول امرؤ القيس في مطلع معلقته واصفاً رسوم الدار٤١:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحول
فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حبُ فلفل
وإن شفائي عبرةٌ مهراقة
فهل عند رسم دارس من معوّل

ثانياً: النسيب:

والمقصود به الغزل ووصف الحبيبة ويُسمى التشبيب٤٢.

والنسيب٤٣ عند قدامة بن جعفر: ذكر النساء، أما التشبيب فهوأثر الحب وتبريح الصبابة٤٤.

"وقد أصبح ذكر المرأة في مطالع القصائد تقليدا جرى عليه الشعراء "٤٥ فيبدوجليا لمن يطالع المعلقات أن المرأة تحتل مكانة خاصة في هذه القصائد ، فعبر شعراء المعلقات عن عواطفهم تجاه المرأة ، ووصفوها في قصائدهم ، وصفا لم يخل من الدقة ، هذا بالإضافة إلى وصف متعلقاتها من أطلال وغيرها ، يقول امرؤ القيس :

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ
تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ
كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ
غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلِ
تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي
بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ
وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ
إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ
وفَرْعٍ يَزِيْنُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ
أَثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِلِ

ثالثا : الفخر ٤٦

ومن خلاله يفتخر الشاعر بقوته وفتوته شجاعته التي يتصف بها ، أما أمرؤ القيس فقد فخر بجاذبيته ، يقول :

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت
عليّ وآلت حلفة لم تحلل

رابعاً : الحكمة ٤٧

وهوالغرض الذي يدل على طول التجربة ، والخبرة في الحياة ، وكثيرا ما ارتبطت الحكمة بطول العمر ، وعمق التجربة في الحياة ، وقد كثرت الأبيات الحكمية في المعلقات ، وتعد معلقة زهير بن أبي سلمى أكثر المعلقات احتفالا بالحكمة ، يقول زهير في معلقته :

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ
وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ
وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

الخاتمة :

بعد تمام هذا البحث بعون الله، فإنني أستطيع القول إن المعلقات من غرر القصائد العربية التي تحظى بإجماع العلماء من حيث جودتها، وقوة سبكها والتزامها عمود الشعر العربي، كما أن إجماع كثير من العلماء على أن "المعلقات" هي التسمية الأكثر رواجاً وتداولاً بين النقاد والدارسين، بالرغم من وجود أسماء أخرى كالمذهبات والمشهورات والسبع الطوال، وكل ذلك يشير إلى تميّز هذه القصائد وتفردها كما أنني لم أجد اتفاقاً – لا لبس فيه- على مسألة تعليق هذه القصائد على أستار الكعبة، فبقيت هذه المسألة بين أخذ ورد، وأستطيع القول: لم أجد في أراء العلماء أدلة واضحة، أوفيها إجابة شافية حول قضية تعليق المعلقات، حيث لم تذكر أخبار لقصائد كانت تقرأ أثناء التعليق، ولم ترد أخباراً لخلاف أونقاش أومواقف حدثت ودارت حول تعليق هذه القصائد،فبقيت مسألة التعليق بين أخذ ورد، ومن الأمور التي بقي الاختلاف

حولها موجوداً عدد المعلقات، وبالتالي عدد شعرائها، فبعضهم جعلها سبع والبعض الآخر عشر، حتى أن النقاد اختلفوا في أسماء شعراء المعلقات سواء كانوا سبعة أوعشرة، وإن الإجماع كان في ستة من الشعراء ذكرتهم خلال البحث.

وأخيراً – ومما لا شك فيه – أن هذه القصائد من قمم الشعر العربي، ومثالاً يحتذى في الجودة وسلامة اللغة، وهي النموذج الأثير للشعر العربي القديم، وإن من شكك بها – إنما فعل ذلك في ظني – لخدمة أفكار شخصية مريبة، قاصداً الانتقاص من لغة العرب وفصاحتهم، وربما التشكيك في تراث الأمة وفصاحتها، وأنها أهل لنزول القرآن فيها، دستور الأمة، وذروة سنام بلاغتها.

الهوامش

١- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي،د.ط، بيروت،ج٣، ١٩٥٨م،ص٩٨.

٢- العمدة، ابن رشيق القيرواني،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٤، دار الجيل، بيروت،١٩٧٢م،ج١، ص٦١.

٣- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وفي، الهيئة المصرية العامة، د.ط، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٨، ج١،ص٨٩.

٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبوالبركات الأنباري، تحقيق أبوالفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، ١٩٦٧، ص.

٦- معلقات العرب، بدوي طبانة، دار المريخ، د.ط، الرياض، ١٩٨٤، ص١٣.

٧- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ١٩٩٤،ص٢١٤.

٨- معجم الأدباء، ياقوت الحموي،ط٣،دار الفكر ،د.م،١٩٨٠،ج١،ص٢٢٦.

٩- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية ة الإسلام، أبوزيد القرشي، تحقيق محمد علي الهاشمي، دار القلم، ط١٩٨٦،٢،ص٤٦.

١٠- تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي،د.ط، مطبعة الاستقامة، القاهرة،ج١٩٤٠،٣،ص١٨٩.

١١- العمدة، ابن رشيق، ج١، ص٦١.

١٢-المرجع نفسه، ج١، ص٦١.

١٣-الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد أمين الغناوي، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ٢٠٠٢،ص٢٠٦.

١٤- خزانة الأدب، البغدادي، ج١، ص٨٧.

١٥- جمهرة أشعار العرب، ص٤٥.

١٦- بدوي طبانة، معلقات العرب، ص١٧.

١٧- المرجع نفسه، ص١٧.

١٨- الباقلاني، إعجاز القرآن، تعليق محمد شريف سكر،د.ط، إحياء العلوم، بيروت ،١٩٨٨، ص١٣٥.

١٩- انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الأنباري.

٢٠- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، ط٢، بيروت،١٩٩٦، ص٣٣.

٢١- المرجع نفسه، ص٣٠٤.

٢٢- بدوي طبانة، معلقات العرب، ص٣٠-٣١.

٢٣- المرجع نفسه، ص٢٥.

٢٤- انظر كتاب في الأدب الجاهلي، طه حسين،ط٢، دار المعارف، تونس،١٩٩٨.

٢٥- بدوي طبانة، معلقات العرب، ص٢٧.

٢٦- المرجع نفسه، ص٢٧.

٢٧- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الحجمي، تحقيق محمود محمد شاكر، د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، ص٢٣.

٢٨- تاريخ آداب العربية، جورجي زيدان، د.ط، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧، ص٩١.

٢٩- العقد الفريد، ج٣،ص٩٨.

٣٠- انظر: جمهرة أشعار العرب، أبوزيد القرشي، ص١-٥٠.

٣١- المرجع نفسه، ص٤٣.

٣٢- شرح القصائد العشر، أبوزكريا التبريزي، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٨٥.

٣٣- المرجع نفسه، ص٢٨٧.

٣٤- مقدمة ابن خلدون، ص٥٨٠.

٣٥- المرجع نفسه، ص

٣٦- معلقات العرب، بدوي بن طبانة، ص٦٠.

٣٧- المرجع نفسه، ص٦١.

٣٨- معلقات العرب، بدوي طبانة، دار الثقافة،ط٣،بيروت، ١٩٧٤، ص١٢-١٣.

٣٩- العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج٢، ص٩٠.

٤٠- المرجع نفسه، ج٢، ص٩١.

٤١- العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج٢، ص٩٣.

٤٢- المرجع نفسه، ج٢، ص٩٤.

٤٣- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المعم خفاجي، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٦٥.

٤٤- معلقات العرب، بدوي طنابة،ص٣٢٦.

٤٥- المرجع نفسه ، ص ٣٢٧.

٤٦- العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج٢ ، ص٩٦.

٤٧- المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٩٨ .